هل حوّل الصهيونيون الصحراء الى جنة ؟

الدكتور رتشرد بيفز

الانسة زينب اليافي

لم يكن من بين الخرافات التي استندت اليها الصهيونية منذ نشأتها الاولى أكثر انتشارا من خرافة « جعل الصحراء تزدهر » . لقد تكلم عدد لا يحصى من المدافعين الصهيونيين عن تخريب العرب لفلسطين ثم اصلاحها على أيدي اليهود الصهيونيين والاسرائيليين . ومن الامثلة الحديثة على ذلك مقالة بعنوان « حق اليهود في اسرائيل » للحاخام ا. كاهن نشرت في مجلة **الاميركي الصهيوني** ، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ ثم اعادت المنظمة الصهيونية الاميركية طباعتها من جديد . يجزم الحاخام كاهن في استعراضه ما يلي : « لقد بدأ ازدهار الاراضي المقدسة يضمحل عندما جاء اليها الاتراك العثمانيون في القرن السابع . كان الباشا التركي يزور البلد مرة في العام ليجمع الضرائب ، واذا ما تأخرت الضرائب قطعت الاشجار ودمرت القرى وأخذت البلاد في الانحطاط(١) . وبدأ البدو العرب يتسربون الى البلاد من الجنوب فخربت قطعان ماعزهم الاشجار والغابات ، وهكذا عندما جاء نابليون كانت الاراضي المزدهرة باللبن والعسل قد تحولت الى تلال قاحلة وأودية من المستنقعات . وأصبحت في أسوأ حالة لها خلال تلك القرون . ولاول مرة في كل تلك القرون وجد في هذه الفترة القصيرة عدد كبير من السكان العرب في البلاد ولكنهم لم يحكموها وانما حولوها الى ارض جرداء » . (ص ٢) . ويتابع الحاخام كاهن قوله : « أخذ الطلائعيون اليهود تلك الارض وازالوا منها الصخور وجففوا مستنقعاتها وأوجدوا الرياض الجميلة والمزارع وحسنوا الزراعة وشارك العرب في التقدم فأصبح العربي العادي في فلسطين أفضل حالا من نظيره في الاجزاء الاخرى من الامبراطورية التركية » . (ص ٣) .

ان الحاخام كاهن مبتسر نوعا ما مع اتراكه العثمانيين كما انه لا يوضح ماذا يقصد بقوله « هذه الفترة القصيرة » (من القرن السابع ــ القرن التاسع ؟) ، ولكن دعك من ذلك ، فهو يطرح الخرافة بشكل واضح ونموذجي . وهناك عرض لهـا أسهل منالا وأوسع انتشارا موجود في رواية جيمس ميكنرز واسعة الانتشار ، **المصدر** . فهو يصف كيف « ان المماليك أرسلوا عبيدهم يجوبون الارياف ويجتثون كل الاشجار ما عدا الزيتون ،

---

١ ــ ان هذا يثير نقطة مهمة . فقد لاحظ كثير من الرحالة السلب الذي كان يقوم به الاتراك في فلسطين دون ان يميزوا بوضوح بين الاتراك والعرب وتبعهم الكتاب فيما بعد في اخفاء هـذه الفروقات . بالطبع فان الاتراك كانوا بالنسبة للعرب قوة احتلالية (مثل الاسرائيليين) ويجب بالتالي ان لا يتحمل العرب مسئولية سوء ادارتها . بكلام آخر ، كان العرب ضحية كل من الامبراطورية العثمانية واسرائيل ، ومن السخرية ان يلقي الاسرائيليون بخطايا العثمانيين على العرب .